الخصائص السياقيّة والبيانيّة لـ (ظنّ) وجملتها في القرآن الكريم

أ.م.د. قصي محمود خلف

كلية القانون و العلوم السياسية / جامعة كركوك

الملخص:

تعدّ دراسة السّياق من أهمّ الدراسات التي ظهرت قديماً وتطورت في الزّمن الحاضر حتى كثرت الدراسات نحوها، ونستطيع أن نعدّ نظريّة السياق إحدى النظريّات المهمة في دراسة النّص القرآنيّ ومعانيه السياقيّة المختلفة، وقد قام البحث بدراسة الخصائص السياقية لجملة الظن في القرآن الكريم من خلال التّعريف بالسياق في اللغة والاصطلاح، ثمّ دراسة السياق عند اللغويين والأصوليين والبلاغيين، وقد درس الخصائص السياقيّة لجملة الظن واختلاف معانيها في النّص القرآني دراسة تحليلية في المبحث الثالث من خلال ورودها في سياق الخطاب وذلك في قصص الأنبياء يوسف ويونس عليهما السّلام، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج كان أهمها أنّ الظن في القرآن الكريم لم يأت بمعنى الشك والتشكيك فقد جاء في أغلبه ليحقق دلالات اليقين.

الكلمات المفتاحيّة: (الخصائص، السياق، جملة الظن، القرآن الكريم).

Contextual and rhetorical characteristics of (think) and its sentence in the Holy Quran

Assistant Professor Qusay Mahmoud Khalaf

College of Law and Political Science / University of Kirkuk

Abstract:

The study of the context is one of the most important studies that appeared in the past and developed in the present time until there were many studies towards it, and we can count the context theory as one of the important theories in the study of the Qur'anic text and its various contextual meanings. Language and terminology, then a study of the context for linguists, fundamentalists, and rhetoricians, and the contextual characteristics of the phrase conjecture and its different meanings in the Qur'anic text were studied analytically in the third topic through its occurrence in the context of the discourse in the stories of the prophets Joseph and Yunus, peace be upon them both, and the research reached a set of results that were The most important of which is that conjecture in the Holy Qur'an did not come in the sense of doubt and skepticism, as it came in most of it to fulfill the connotations of certainty.

Keywords: (characteristics, context, presumptive sentence, the Holy Quran).

مقدّمة:

إنّ اللغة العربيّة بحر من البحور الثرة الغنيّة بأساليبها وتعابيرها الّتي تمنحها قدرة كبيرة على التكيّف، ولغة القرآن الكريم هي اللغة المعجزة الّتي استمدّت منها العربية أساليبها، فالقرآن الكريم هو كتاب الهداية الذي يعمل كل عالم على البحر منه والتبارك بما فيه من إعجاز بلاغي وقيمة علمية، فالقرآن الكريم هو كتاب الله عز وجل الذي يحمل بين صفحاته بحاراً من العلوم ولذلك كان من الواجب إحاطته بالدراسة والبحث، وقد أخذ البحث على عاتقه دراسة جملة الظن ودلالاتها السياقية.

فما يحدد معنى الكلمة ليس جريانها في أساليب الاستعمال المعجمي فحسب، ذلك لأنّ الكلمة في المعجم تتجرد من المعنى المقصود، فهي كما قال بعض اللّغويين تكون في درجة الصفر.

وما يحدد الدّلالة ويضبط المقصود إنّما هو السياق، لهذا تركز الاهتمام على دراسة السياق الذي ترد فيه الكلمات، أي السياق اللّغوي، الذي يحدد معنى الكلمات، فالكلمات ليست بذوات معان إلا من خلال استعمالها في سياقات معينة.

من أجل ذلك يختلف معنى الكلمة الواحدة بحسب ورودها في السياق، فالاستعمال يُخرج الكلمات من مجالها المعجمي الثابت إلى مجالها السياقي المتغير، وذكر "ستيفن أولمان" أنّ كلمة السياق استعملت: " بمعنى النّظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع ما تحتمله تلك العبارة من معان "[١]، وهذا معناه أنّ السياق لا يشمل الجمل فحسب بل النّص كله، الذي من شأنه أن يتعدد من خلاله المعنى وتتنوع الدلالة اللّغوية.

وقد انطلق المبحث البلاغي في مضمار فكرة الإعجاز القرآني، ولاسيما عند ثلاثة من أعلام البلاغة العربية، أعني الرماني والجرجاني والخطابي، إذ وضع كلّ واحد من هؤلاء رسالةً جعل فيها فكرة الإعجاز منطلقاً لبحثه [٢]، ومع الأهمية البالغة التي حازتها تلك الرسائل، إلا أنّه لم يقع في وهم واضعيها أنّها ستتحكم في اتجاهات البلاغة العربية عامة، ولا سيما عند عبد القاهر الجرجاني والسكاكي والقزويني وغيرهم، ممن طور المبحث البلاغي انطلاقاً من البحث عن فكرة الإعجاز، وأطلق الكثير من التصورات الفنية والجمالية على السلسلة الكلامية عامة، وطرائق تجويدها لتحوز كامل اهتمام دارسي البلاغة.

وكان في مقدمة تلك الأبواب باب السياق الكلامي وتحولاته اللّغوية الدقيقة فيما يستحكم بتوجيه الدلالة وإحداث التواصل اللّغوي في أبهى صورة وأحسن شكل، ذلك أنّ فكرة الإعجاز أضحت موضوعاً من أبرز موضوعات البلاغة العربية، وصارت فكرة مراعاة "مقتضى الحال" مقياساً لجودة التعبير، كما أنّها أضحت مجالاً واسعاً لنظرية السياق والنظم والبيان وبلاغة الكلام عامة.

المبحث الأوّل: مفهوم السّياق لغةً واصطلاحاً

أولاً: السياق لغة

"السوق من ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا ،وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة)[٣].

وقال الزمخشري: (ومن المجاز :هو يسوق الحديث أحسن سياق ،وإليك سياق الحديث ،وهذا الكلام مساقه إلي كذا ،وجئتك بالحديث علي سوقه أي علي سرده)[٤]

ويقصد بالسرد التوالي والتتابع كما في قولك: (سرد الحديث والقراءة جاء بهما علي ولاء)[٥]

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم باستعمالات متعددة منها علي سبيل المثال لا الحصر قوله تعالي: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٦] وقوله تعالي: ﴿ فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾ [فاطر: ٩] وغير ذلك كثير في القرآن الكريم .

وبهذا يتبين لنا أن هذه المادة تدور حول معنى التتابع ،والاتصال، وأن استعمال العرب لهذه المادة ومشتقاتها يدور علي ذلك ،فسوق الإبل وتساوقها من التتابع ،والتتابع اتصال لا انقطاع فيه.

ثانياً: السياق في الاصطلاح :

فقد جاء في المعجم الوسيط :(سياق الكلام أي تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه)[٦]

وعرفه العطار في حاشيته علي جمع الجوامع قائلا:(السياق ما سيق الكلام لأجله)[٧]

ويقول أيضا في موضع آخر : (وقرينة السياق هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال علي خصوص المقصود أو سابقه)[٨].

وعرفه السلجماسي بقوله : (هو ربط القول بغرض مقصود علي الأول)[٩]، وقد جاء ذلك عندما ذكر الإيجاز بالحذف المسمى بالاكتفاء [١٠].

وعرفه الطحاوي في معاني الآثار بقوله:(السياق هو الأمر الذي يمكن أن يؤثر في معنى خطاب معين مما له علاقة بالخطاب ذاته.)[١١]

والسياق هو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة وتستمد أيضا من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف ،وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره ، من متكلم ومستمع وغير ذلك، من الظروف المحيطة، والمناسبة التي قيل فيها الكلام)[١٢].

السياق الذى نعنى به هو ذلك السياق الداخلي الذى يعنى بالنظم للكلمة ،وموقعها من ذلك النظم، أخذا بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها في الجملة ،وقد تتسع الدائرة إذا دعت الحاجة ،فيشمل الجمل السابقة، واللاحقة بل والقطعة كلها .

أو هو الغرض الذي ورد الكلام، لأجله ،وأن له أثر بالغ في تعيين المراد من اللفظ ، فقد يرد اللفظ الواحد في أكثر من موضع وله في كل موضع معنى يختلف عن المعنى الآخر ،والذى يعين على معرفة معانيه المختلفة في تلك المواضع هو سياق الكلام أو الكلام السابق والكلام اللاحق ، كما يتضح ذلك من خلال البحث –إن شاء الله – إذن فالسياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وأوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظا :الحال والمقام .

المبحث الثّاني: السياق في الدرس اللغوي

يعتبر السياق عند العلماء أساسا في فهم الكلام ،وأصلا يحتكم إليه وبخاصة في كلام الله تعالى، لذلك اهتم العلماء بنظرية السياق منذ وقت مبكر لما له من أثر في الكشف عن المراد، وفهم النصوص واستنباط الأحكام ،وقد تضافرت وتواترت أقوال العلماء في تأكيد ذلك وتقريره.

ونظرا لأهميّة السياق في إجلاء معنى الكلمة المفردة داخل جملتها ، ونظراً لأن عملية الكشف عن المعنى من الاهتمامات الأساسية للمفسرين والأصوليين والبلاغيين واللغويين، لكونه يساعدهم في استنباط الأحكام والمقاصد الشرعية من القرآن الكريم، ولذلك أشار الجميع إلى السياق في مؤلفاتهم وسوف أذكر بإيجاز السياق عند اللغويين ،ثم عند الأصوليين ،.وأخيرا عند البلاغيين بشيء من التفصيل.

السياق عند اللغويين

لقد شاع عند اللغويين استعمال لفظ قرينة السياق عند ذكر دليل الحذف الجائز في الأبواب النحوية ، كما ورد أيضا لفظ السياق بمعناه اللغوي في توصيف بعض الأساليب نحو قولهم: :لنكرة في سياق النفي تعم، كما اهتموا بتركيب الألفاظ بعضها ببعض. اهتماما كبيرا ، كما تطرق سيبويه" ت ١٨٠ ه" في "الكتاب" إلى قضية الاستقامة والإحالة في الكلام بعنوان (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة).[١٣]

وقد أولى سيبويه كلا من "السياق اللغوي" و"سياق الحال " اهتماما كبيرا لما له من أثر في مباني التراكيب ، من حيث الذكر والحذف، أو التقديم والتأخير ، ويتضح ذلك من استعانته بالسياق اللغوي بكثرة في تقديم المفعول وتأخير الفاعل فيقول عن قولك :"ضرب عبدالله زيدا: (فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جري في الأول ،وذلك قولك ضرب زيدا عبد الله ؛لأنك إنما أردت به

مؤخرا ما أردت به مقدما، ،ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما ،وهو عربي جيد كثير ،كأنهم أنما يقدمون الذى ببيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم)[١٤]

فسيبويه هنا قد اعتمد في هذا النص على دور العلامة الإعرابية في بيانها للفاعل والمفعول حتى مع التقديم والتأخير فقد لاحظ أن المعنى النحوي ل "زيد" و "عبد الله" غير مختلف في كلتا الجملتين ،وهذا يتضح من قوله " جرى اللفظ كما جري في الأول"، أي رفعت الفاعل "عبد الله" مع التأخير ،ونصبت المفعول "زيدا" مع التقديم ،وهذه العلامة الإعرابية من عناصر السياق اللغوي الدالة على الفاعل والمفعول في مثل هذه الجمل التي خالفت الرتبة الأصلية .

و إذا كانت الدلالة المعجمية للألفاظ متعددة، فإن اللغويين أشاروا إلى أن ذلك التعدد لا يكون إلا خارج السياق، أما في السياق فإن الدلالة واحدة .

قال أبو بكر الأنباري "ت ٣٢٨ ه": إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحدا.)[١٥] أي لا يُعرف معنى الخطاب إلا باستيفاء السياق واستكمال النظر فيه كله .

فمما سبق نستنبط مدى اهتمام اللغويين العرب بالسياق، ومن بينهم "أبو بكر الأنباري" الذي شدد على أهمية السياق في الكشف عن المعنى المقصود للكلمة أو الحرف داخل الجملة؛ لأن بواسطته يتم اقتناص المعنى المراد.

السياق عند الأصوليين

لما كان الأصوليون من أشد علماء الشريعة حرصا على الوصول إلى الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، فقد اهتموا بالسياق اهتماما بالغا، لكونه وسيلة للكشف عن المعنى المراد ويمكن القول بأن " الإمام الشافعي "(ت ٢٠٤ ه) هو أول من تحدث عن السياق وأثره في فهم الكلام فقد أشار إلى أحد نوعي السياق وهو سياق النص وإن لم يسمه بالمصطلح المعروف في عصرنا الحالي حين يقول : (وتبتدئ – أي العرب- الشيء من كلامها يبين أو للفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله)[١٦].

وقد عقد له بابا في رسالته وسماه "باب الصنف الذى يبين سياقه معناه "[١٧] وبرغم من أنه لم يعرفه إلا أنه ساق أمثلة من القرآن الكريم جرى فيها تحديد معنى بعض الألفاظ التي لها أكثر من معنى بالسياق،

مشيرا بذلك إلى أن السياق يمكن أن يستعمل لتحديد المراد بالمشترك من الألفاظ القرآنية وهو بذلك ينص على السياق بلفظه لا بمعناه ومن الأمثلة التي ذكرها قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] ثم قال : (فابتدأ جل ثناؤه الآية بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر ،فلما قال :" إذ يعدون في السبت "دل على أنه إنما أراد أهل القرية ؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا في غيره ،وإنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون) وواضح من استدلاله بما بعد لفظ القرية أنه يعني سياق النص .

- أما الغزالي(ت ٥٠٥) فيعرف أصول الفقه أو ما يعرف بالمتضايفين بقوله: (عبارة عن أدلة هذه الأحكام، وعن معرفة وجوه دلالتها على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل)[١٨].
- أما ابن القيم الجوزيه (ت ٧٥١) فهو يرشد إلى أهمية السياق في بيان المجمل وتخصيص العام وتقييد المطلق قائلا:(السياق يرشد إلى تبين المجمل ،وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد ،وتخصيص العام ،وتقييد المطلق ،وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ،فمن أهمله غلط في نظره ،وغالط في مناظرته ،فالنظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩] ،كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير.[١٩]
- أما الإمام الزركشي(ت ٧٩٤) فقد تناول دلالة السياق وموقف العلماء منها مؤكداً على أهميتها كطريق للتوصل إلى فهم معانى النصوص الشرعية قائلا : (دلالة السياق أنكرها بعضهم ومن جهل شيئا أنكره ،ثم نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتاب "الإمام" :السياق يرشد إلى تبين المجملات ،وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف الاستعمال ،فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً ،وإن كانت ذما بالوضع ،وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما وإن كانت مدحاً بالوضع كقوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩] [٢٠].
ويقول أيضا في البرهان في ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين (وطريق التوصل إلى فهمه: النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق)[٢١].
- أما صاحب تفسير المنار فقد وضح أن السياق أفضل قرينة تدل على معنى اللفظ فقال: (وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته)[٢٢]

السياق عند البلاغيين

عرف البلاغيون العرب السياق ،فكانوا من السباقين لاستخداماته ،وما استعمالهم للمقولة المشهورة "لكل مقام مقال "إلا دليل على ذلك، وكذلك استخدامهم لمصطلحي الحال والمقام للدلالة على ما نسميه سياق الموقف ، أي على القرائن الخارجية المتعلقة بالمتكلم أو المخاطب ، وفقد نقل الجاحظ(ت ٢٥٥) عن بشر بن المعتمر قال:(ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين

وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ،ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقدر أقدار الكلام على أقدار المعاني ،ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ،وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات)[٢٣].

فقد انتبه الجاحظ إلى أهمية السياق ،وعناصره، ومقوماته التي أوصلها إلى خمسة عناصر هي :اللفظ، والإشارة ،والعقد ،والخط ، والحال التي تسمى نصبة ،وبذلك يحيط الجاحظ علما بالسياق ويسبق المحدثين في جعل السياق معتمدا على اللفظ والإشارة والصوت والحال ،وهو ما عرف بالسياق اللغوي وغير اللغوي)[٢٤].

أما أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥) فقد أشار إلى أهمية السياق في التحديد الدلالي فيما أشار إليه من جملة محددات حيث يقول : (وأول ما يعرف به الفرق بين هذه المعاني وأشباهها أشياء كثيرة منها اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنيهما)[٢٥]، وفي موضع آخر يوضح أبو هلال العسكري أن اختلاف العبارات يوجب اختلاف المعاني وأن السياق هو الوسيلة التي تفرق بين قصدية معنى في مقام عن معنى آخر ،فالمعاني تناسب ما تشير إليه فيقول:(الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني :أن الاسم كلمة تدل على معنى الإشارة ،وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة عرف)[٢٦] فالقيمة الوظيفية للكلمة تتضح من خلال سياقها التي قيلت فيه، ومقامها التي تدل عليه.

أما الإمام عبد القاهر الجرجاني فقد ربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه ،يقول : (وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذى هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ،ومعلقا معناها بمعنى ما يليها ،فإذا قلنا في لفظة "اشتعل" من قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: ٤]، إنها في أعلى مرتبة من الفصاحة ،لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ،ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف ومقرونا إليها الشيب منكراً منصوباً)[٢٧].

ويقول في موضع آخر:(فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ)[٢٨]

وكذلك الخطيب القزويني (ت ٧٣٩) الذي عرف علم المعاني بأنه : (هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السياق ،وما يحيط به من القرائن ،أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتى معبرة عن المعنى المقصود)[٢٩] وعرف بلاغة الكلام بأنها (مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته).[٣٠]

وكما اهتم البلاغيون في دراستهم للسياق بأحوال المتكلم والمستمع ،اهتموا كذلك بفكرة مقتضى الحال، والعلاقة بين المقام والمقال، كما أخذ البلاغيون حركات الشخوص وإيماءاتهم وإشاراتهم باعتبارها عنصرا من عناصر المقام كما فعل السياقيون ،غير أن هؤلاء كانت عندهم عنصرا من العناصر التي تساعد على وضوح الدلالة التامة وإبرازها بينما هي عند البلاغيين من العناصر التي تساعد علي توصيل الدلالة إلى السامع والإفصاح عنها.

أما الدكتور أبو موسى فقد تحدث عن أهمية السياق فيقول : (إن التركيب تختبئ في خصائصه وأحواله إشارات ودلالات مختلفة وأن السياق هو الذى يستخرج من هذه الخصائص مقتضياته وكأن التركيب النفيس أشبه بقطعة من معدن نفيس تعطى ألوانا متكاثرة كلما أدرتها إدارة جديدة ،والسياق هو القوة التي تحرك هذه القطعة لتشيع من ألوانه ما يراد إشعاعه)[٣١]

فمن جملة ما سبق نخلص إلى أن اهتمام البلاغيين بالسياق كان واضحا وجليا من خلال استخداماتهم له وإعطائهم له قيمة قصوى في عملية بنائهم ونسجهم للتراكيب اللغوية، وكذلك في عملية تحليلهم لهذه التراكيب اللغوية وتفكيكها بغرض الوصول إلى المعنى المراد.

السياق عند اللغويين المحدثين

عرضنا في ما سبق لمعرفة العرب للسياق واستخداماتهم لها في مجالات عديدة ، ولم يكن العرب وحدهم هم الذين طبقوا هذه النظرية ، وإنما شاركهم أيضا العلماء الغرب الذين اهتموا بالسياق ، وعرفوا أثره في الكشف عن المعنى)[٣٢] ففكرة السياق عندما تناولها الغربيون في القرن العشرين لم تكن جديدة تماما، وإنما كانت استمرار لجهود الدرس اللغوي ، وكان للعرب سبق في هذا المجال .

ويدل لفظ (السياق) عند اللغويين المعاصرين على الإطار الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر . فيشمل زمن الكلام والمفاهيم المشتركة والكلام السابق للمحادثة ، ويرادفه القرينة . وله أهمية كبيرة في البحث اللغوي المعاصر ، لغرض تحديد الدلالة ، حتى يصبح نظرية متكاملة ترتبط بتخصصات كثيرة[٣٣] فـ "دى سوسير" الذي يعرف اللغة بأنها (نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار [٣٤] يرى أنّ السياق يتركب من وحدتين متتاليتين فأكثر، وأن الكلمة تكسب قيمتها من موقعها ، مما هو سابق ولاحق بها.[٣٥] وتتلخص فكرة "دى سوسير " عن السياق وقيمته وتظهر في قوله (والكلمة إذا وقعت في سياق ما ،لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق، ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا)[٣٦].

أما فندريس فهو من أبرز علماء اللغة الفرنسيين الذين أولوا السياق أهمية كبرى، وقد عالج هذه الفكرة عندما تحدث عن المشترك اللفظي في اللغة ،وأن السياق يمنع تعدد المعاني أو الوظائف ،بحيث يشكل

دائما العامل الحاسم الذى يحدد المعنى المراد من اللفظ المشترك وقد أشار إلى : (أننا حين نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما ؛ إذ لا يطفوا في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذى يعينه سياق النص ، أما المعاني الأخرى فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقا)[٣٧] ومع أن "فندريس " يرى أن المعجم لا يسجل إلا المعنى الأساسي الذى يطغى على ما عداه[٣٨] فهو يرى – أيضا- : "أن الذي يعيّن قيمة الكلمة في كل الحالات هو السياق ، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً ، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها ؛ والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها . وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية."[٣٩]

المبحث الثّالث: الخصائص السياقية لـ ظن وجملتها دراسة تطبيقية

اختلف الباحثون في تحديد الدلالة الاصطلاحيّة للفظة النّص، وقد تعددت تعريفاتهم، واختلفت رؤاهم نظراً لتعددت اتجاهاتهم، واختلاف مدارسهم النقديّة واللسانيّة، وقد كان للمصطلح جذور قديمة في تعريفات القدماء من خلال دراسات النقاد القدامى، والنّحويين ، فقد جمع المرادي وسائل الرّبط الأربعة للجملة الخبرية قائلاً: " فشمل أربعة أشياء: الضمير : نحو زيد أبوه قائم، وقد يحذف إن أمن اللبس نحو السمن منوان بدرهم، واسم الإشارة نحو قوله تعالى: ((الحاقة ، ما الحاقة)) والعموم، نحو فأما القتال لا قتال لديكم ، وهذه الرّوابط المتفق عليها[٤٠] ليجمع بذلك الأدوات التي تربط الجملة في هذا القول.

أمّا النّقاد القدامى فقد كان عبد القاهر الجرجاني من أكثر العلماء الّذين تناولوا التماسك النصي وأولى المصطلح أهميّة كبيرة من خلال ما جاء في كتابه دلائل الإعجاز، فقد قال : " واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشّكّ أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على واحد من الناس[٤١]" ، فجعل بذلك الترابط بن الكلمات بعلاقات سببية أصل الكلام.

" اعلم أن ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الّذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرّف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه[٤٢]""

والجاحظ يقول: أجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم أنّه أفرغ لإفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان [٤٣]"، فقد رهن الجاحظ جودة الشّعر، وجعل معيار حكمه عليه يتوقف على النّص المربوط ربطاً منساباً، ذو الأجزاء المتلاحمة، والمخارج المتقاربة، فقد قرن جودته بسهولته وانسيابه على الألسن، وقد صبّ اهتمامه على الجانب الصّوتي

للألفاظ والحروف، ومدى تنافره أو تآلفه، فالتآلف مرتبط بتباعد مخارج الأصوات سواء في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة[٤٤]، فهو يقول : " فهذا في اقتران الألفاظ، فأمّا في اقتران الحروف، فإنّ الجيم لا يقارب الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين، بتقديم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بقديم ولا بتأخير[٤٥]"؛ ليشير الجاحظ بهذه الكلمات إلى أهميّة الوزن ودوره في ربط أجزاء النّص، فيكون قد اقترب من مفهوم الدرس الحديث للنّص.

وكذلك ظهر رأي ابن جني قديماً في موضوع النّص، فقد قال متحدّثاً عن رأي المتكلمين في معنى الكلام: "وقد علمت بذلك متعسف المتكلمين في هذا الموضع، وضيق القول فيه عليهم حتى لم يكادوا يفصلون بينهم، والعجب نصّ لهم عن نصٍّ بسويةٍ فيه، وفصله بين الكلام والقول، ولكلّ قوم سنة وإمامها[٤٦]"، فالنص عند ابن جني هو التسوية والحجة القاطعة في الكلام، ليضع بذلك تعريفاً للنّص قائماً على القطع، فهو الكلام المنصوص غير القابل للنقاش أو التّصرف فيه، ولكنّه رأى أنّ لكلّ قوم رأيهم في مجال وضع تعريف له، فقد اختلف العلماء، والمتكلمون فيما وصلوا إليه من تعريفات وأقوال تخصّ النّص.

ونلمح رأياً آخر في هذا المجال عند ابن قتيبة الّذي قام بدراسة النّص القرآني من خلال كتابه مشكل القرآن، وقد كان لرأيه ودراسته أهميّة جذبت اهتمام النقاد ، وقد اقترب في تحليلاته مما يعرف حديثاً بلسانيّات النّص من خلال نظرته الشّاملة للقرآن التي يمكن تلخيصها بـ:

- اهتمامه بالعلاقات الدلاليّة الّتي تشكّل النّص.
- حديثه عن التكرار والحذف في القرآن الكريم.
- كان لا يقدّم موقفه إلا بعد عرض مختلف الآيات الواردة من ذلك في باب تكرار الكلام، فقد كان يتصف بنظرته الشموليّة للدراسة.
- توضيحه لانسجام القضايا الواردة في القرآن الكريم وطرح أمثلة عليها.[٤٧]

وقد أدرك القرطاجني الصّلة بين مطلع القصيدة وأجزائها الأخرى في حديث يشبه الدراسة النّصيّة لتلك القصائد، فهو يقول: يكون اقتران صفة رأس الفصل وصفة عجزه نحواً من اقتران الغرة بالتحجيل في الفرس، وإذا اتجه أن يكون الانتقال من بعض صدور الفصل إلى بعض على النحو الّذي يوجد فيه التابع مؤكداً المعنى المتبوع ومنتسباً إليه، وكان ذلك أشدّ تأثيراً في النّفوس، وأعون على ما يراد في تحسين مواقع الكلام منها [٤٨]"، فذلك التتابع والتلاحم الّذي لفت انتباه القرطاجني كان عاملاً مؤثراً، يعمل على لفت الانتباه وشد المتلقي إلى النّص الّذي يرتبط مطلعه بأجزائه وترتبط أجزاؤه ببعضها

بعضاً، فيكون حديثه هذا مؤشراً لاهتمام النقاد العرب القدامى بالنّص المسبوك، وأهميّة التناسق والترابط عندهم.

وردت مادة (الظَّنِّ) في الخطاب القرآني تسعا وستين مرة على صور متعددة فوردت بصيغ: المصدر، وفعلي الماضي والمضارع، واسم الفاعل، واستأثر الخطاب المكي بالقسط الأوفر منها، إذ وردت في ثمان وأربعين سورة مكية وإحدى وعشرين سورة مدنية.

وجاءت إما حكاية عن الأنبياء، أو بيانًا لأحوال الكافرين، أو كشفًا عن بعض أحوال المؤمنين، ما يمكن استجلاء جملة دلالاته عبر السياق الأسلوبي.

الظن وجملته في خطاب نبي الله يونس عليه السلام :
في قصة نبي الله يونس، عليه السلام، كما أوردها موقع سورة الأنبياء، تبدو جملة من الانحرافات اللفظية وانحرافات الصيغة، حيث تم انتقاء الألفاظ والصيغ في السياق، وعدل عن غيرها، بتفضيل بعضها على بعض مما أدى إلى التوسع في خلق المعاني، لأجل خلق الإبداع، وتوفير حجاجية الخطاب، وجملة الانحرافات هذه وثيقة الصلة بإيراد مادتي: ظن ونقدر .

والعدول مصطلح عام يجمع تحت مفهومه جملة من الظواهر البيانية، والمصطلحات البلاغية، من أهمها مصطلح الالتفات، والانتقال من الحقيقة إلى المجاز والعكس، أو من صيغة في التعبير إلى صيغة أخرى، أو من خطاب إلى خطاب، أو من لفظة إلى مرادفها، كل هذا ومثله يدخل تحت مسمى العدول. وهو من أهم خصائص الأسلوبية فهو مصطلح خاص بالأسلوبيين " ومن تعريفاته الكثيرة المختلفة قولهم: هو ما يحدثه المنشئ بكلامه من خرق لسنن اللغة "[٤٩].

هو كما في دلالته اللغوية تحول عن المألوف والمعتاد، وتجاوز للمستقر والمعهود، وكسر للمعيار، يتم بقصد وعن وعي، ليحقق في النص قيمة لغوية جمالية، ترقى به إلى رتبة الحدث الأسلوبي، فهو إضافة جمالية وقيمة تأثيرية للنص، ولا يعد كل خروج عن السائد ولا كل خرق للمنظومة عدولا إلا إذا أحيا في النص قيما جمالية وتعبيرية .حيث " تؤطر الأسلوبية للانحراف عن درجة الصفر إظهارا للقيم التعبيرية التي تحتكم إليها الصياغة، مما يحدث أثرا جماليا مداره المعنى العاطفي الذي تقوده مرايا البيان وأساليب التأثير الناتجة عن تكثيف المدارات البنائية "[٥٠].

وقد وقعت قصة يونس، عليه السلام، في آيتين اثنتين في سياق ذكر مِحَن الأنبياء، عليهم السلام، في مقام الرحمة والثناء، حيث يجلو النص المرحلة الأخيرة من مراحل لبثه، عليه السلام، في بطن الحوت:

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨]

السياق يركز على آخر جوانب رحلته عليه السلام في بطن الحوت، من خلال التمفصلات السردية؛ المخالفة ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾، النداء ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾، الاستجابة ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾، المخالفة/العمل/الجزاء.

ففي سياق ذكره تعالى لمِحنْ بعض أنبيائه - عليهم السلام- واستجابته سبحانه لندائهم، اختصت الآيتان بعرض محنة نبي الله يونس وهو في بطن الحوت، واستغاثته والتوسل إليه سبحانه وذكر ما أعقب ذلك من الكشف والإزالة لأسباب المحنة، بما دل عليه حرف السرعة والتعقيب (الفاء) وبصيغة المبالغة ﴿فَاسْتَجَبْنَا﴾، والعطف عليها ب (نجينا)، " فالنجاة وقعت حين الاستجابة إذ الصحيح أنه ما بقى في بطن الحوت إلا ساعات قليلة"[٥١].

وذلك موقف الشدة الذي لا مزيد لشدة عليه، وقد أطبق على يونس -عليه السلام- القلق والغم واستبدت به مشاعر الرهبة والخوف ممن ضيق عليه سبحانه حين ضاق بقومه، حيث تتحرك الكلمات وفق معطيات المشهد المطروح لإبراز المغزى.

ذا النون :يؤشر(ذا النُّونِ) لما آل إليه حال يونس عليه السلام، وهو في موقعه من النص في وضعية إظهار للنتيجة في مقابل السبب ﴿ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾، بصورة تدعو إلى الدهشة.

إذ نزح السياق إلى استخدام (النون) بدلا عن(الحوت)، وقيل في ذلك إن "الحوت العظيم من السمك ومثله النون، والجمع حيتان ونينان"[٥٢]، وقد يطلق الحوت على السمك عمومًا، "ولما كان مقام الآيتين مختلفًا من حيث كون سياق آية القلم [التي ورد فيها لفظ الحوت] سياق نهي، وآية الأنبياء في معرض ذكر وثناء -اختلف اللفظان لذلك، إذ قيل: إن النون أشرف من الحوت، ولعل ذلك يعود إلى أن النون خاص بالحوت العظيم، في حين يأتي الحوت مطلقًا في السمك"[٥٣].

اقترن لفظ النون ب (ذا)، واقترن الحوت بصاحب، وقد ذكر فيها أن "إضافة ذو أحسن من إضافة صاحب، وقد كشف السهيلي عن هذه الكلمة في القرآن الكريم، إذ قال: "والوصف بذو أبلغ من الوصف بصاحب، والإضافة بها أشرف، فإن ذو يضاف للتابع، وصاحب يضاف إلى المتبوع، تقول: أبو هريرة صاحب النبي، ولا تقول النبي صاحب أبي هريرة، وأما ذو فإنك تقول: ذو المال وذو العرش، فتجد الاسم الأول متبوعًا غير تابع، وبُني على الفرق أنه تعالى قال في سورة الأنبياء: ﴿وَذَا النُّونِ﴾ فأضافه إلى النون وهو الحوت، وقال في سورة (ن): ﴿وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ والمعنى واحد، لكن بين

اللفظين تفاوت كثير في حسن الإشارة إلى الحالتين، فإنه حين ذكره في معرض الثناء عليه أتى بذي، لأن الإضافة بها أشرف وبالنون، لأن لفظه أشرف من لفظ الحوت"[٥٤]

الأمر يجاوز هذا الحد، فعدول السياق عن ﴿صَاحِبِ الْحُوتِ﴾ إلى ﴿ذا النُّونِ﴾ انتقاء لفظي ضمن مجموعة الكلمات الدالة، فمع الالتقام والمصاحبة وهما مرحلتان أوليتان في علاقة يونس بالحوت ظهر ﴿صَاحِبِ الْحُوتِ﴾، مع ما يستدعيه الالتقام والنزول وأوليات الوجود في بطن الحوت من الحركة والاضطراب إذ "مادة الحوت تعني الميل والاضطراب"[٥٥]، ومع المرور الزمني عدل عن صاحب إلى ﴿ذَا﴾، إذ الصاحب من المصاحبة، وقد حصل أن صاحب يونس، عليه السلام، الحوت مدة من الزمن، أما ذو ففيها ملازمة كملازمة الصفة للموصوف.

فثمة ما يشير إلى استقرار يونس في بطن الحوت، بمرور الوقت الذي أحال المصاحبة إلى ملازمة، وهذا التطور الزمني أدى إلى تفاقم حالة الضيق المكاني والنفسي ليونس عليه السلام.

ولعل في لفظ ﴿النون﴾ ما يحيل إلى حرف المعجم ﴿النُّونِ﴾ وفي المقاييس: "وذو النون: سيف لبعض العرب، كأنه شبه بالنون، والنون حرف من حروف المعجم"[٥٦]، فخطاب العقل هنا يستدعى خطاب البصر، فيؤشر لفظ النون مع فرادة وروده في النص القرآني إلى خطورة الحدث المعروض وخصوصيته من ناحية، كما يفرض بتأليفه الصوتي واقعًا مشاهدًا من ناحية أخرى إذ النون حرف يأتي (للتعبير عن البطون في الأشياء)[٥٧]، فاللفظ يكرس رؤية تخيلية لما آل إليه يونس عليه السلام من ضيق في بطن الحوت، فبطن الحوت هي وعاء حرف "ن" ويونس عليه السلام نقطتها، أضف إلى ذلك أن اللفظ في نطقه مؤلف من صوتي (نون) فهو لون إلحاح نصي على إظهار حال يونس عليه السلام وتأكيد مدى ما يعانيه من الضيق المكاني، لاسيما مع المد بالمطلق الواو وما يدل عليه، حيث ارتبطت الواو بدلالات تتناسب مع رمزيتها الصوتية، فتلخص في لفظ النون حالات الضيق والرهبة والقلق التي استبدت به عليه السلام، فبتلك الكيفية يمكن اعتبار (النون) نتيجة، استهل به السياق قبل ذكر السبب (ذهب مغاضبا).

فإذا علمنا أن موحيات صوت حرف النون ومعانيه، "تتغير بحسب النطق به، فهو يوحي تارة بالحركة من الداخل إلى الخارج، وهو الانبثاق، كما يوحي تارة أخرى بالحركة من الخارج إلى الداخل، وهو النفاذ في الأشياء.. وهذا .. ليس من قبيل الجمع بين المتضادات في معاني الحروف، كما يرى القائلون بجدلية الحروف العربية، فالحركة المنبثقة من الداخل إذا أعطيت مزيدا من الشدة، وسلطت على الأشياء الخارجية فإنها بعد تجاوزها نطاق الذات، لا بد أن تنفذ في الأشياء حتى صميمها وهي في ذات الاتجاه "[٥٨]، فلعلنا إذ ذاك ندرك مدى المطابقة بين النون وما عاينه يونس عليه السلام، فثمة خروج اتسم بالشدة والحدة أعقبه نفاذ إلى بطن الحوت، ثم خروج منها، فكأن النص يكرس بالنون ليس إلى

الضيق وحسب ولكنه ينحو به نحو علاقة سببية إذ لما خرج عليه السلام غاضبا محتدا نفذ في بطن الحوت، ثم كان الخروج مع النداء، وكأنما يفصح النص بالنون عن عمليتين متضادتين: خروج /دخول، ثم دخول /خروج .

ذهب: الذهاب: السير والمرور، ذهب: يذهب ذهابًا وذهوبًا، فهو ذاهب، وذهوب"[٥٩]

ووفقًا للحركة، فإن فعل)ذهب(يكون تقدميًا، وفي جميع الاتجاهات، ويكون بقصد لأن الإنسان يذهب إلى المكان قاصدًا تحقيق هدف معين، وقد يكون هذا الفعل بإرادته أو رغمًا عنه"[٦٠]، ويبدو أن الحركة في هذا الفعل لا تكون إجبارية إلا إذا الفاعل ذا قوة وسلطة وغالبًا ما كان الله تعالى في القرآن الكريم"[٦١]

فالذهاب مطلق مفهوم الحركة والانتقال، قال الألوسي: "كان ذهابه هجرة عنهم لكنه لم يؤمر به"[٦٢]، وثمة ما يفرق في اللغة بين الذهاب والهجرة، إذ الذهاب مضي ومرور والهجرة تعني مفارقة الإنسان غيره، وترك بلد والاتجاه إلى بلد آخر، وقد عبر عن خروج يونس بالذهاب لما يدل على مطلق مفهوم الحركة من نقطة مادية، فالأصل فيه المضي والحركة، ومن هنا انصبت عناية النص على بيان أن خروجه كان دون الهجرة وغير الإباق، لمجرد السير والمضي؛ وهو بخلاف (أبق) الذي أظهر مخالفة يونس؛ وكشف عما اعترى خروجه من خوف واستخفاء وتستر.

مغاضباً: وهو بيان لحال خروجه عليه السلام، وقت بارح قومه، قال ابن فارس في الغضب: "إنه يدل على شدة وقوة: يقال إن الغضبة الصخرة الصلبة، قالوا: ومنه اشتق الغضب، لأنه اشتداد السخط"[٦٣]، فهو "تحرك في النفس إلى حدة وشدة في قبال شيء آخر، ويقابله الحلم، وهو التعقل والسكون[٦٤]، ففي الغضب "خروج النفس عن الاعتدال في التعقل والسكون، وحركته إلى جانب الحدة والشدة والاشتعال"[٦٥]، ويعرف ابن منظور الغضب بأنه "نقيض الرضا"[٦٦].

التركيب البنيوي للفعل "مُغَاضِبًا" وبناؤه على صيغة "مفاعلة" يفيد المشاركة أي "مراغمًا لقومه لما برم من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم[٦٧]" ، وإن وجهت المفاعلة لمعنى "كون المغاضبة للمبالغة في الغضب لأنه غضب غريب"[٦٨].

و بالجملة فالغضب لون ضيق في النفس كونه مقابلا للحلم والرضا، ومن ثم فهو مع ما تقدمه من وصفه عليه السلام بذي النون مما يكرس حالة الضيق التي ألمت بيونس عليه السلام قبل التقام الحوت له وإبان وجوده في بطنه، فثمة ضيق بالأرض وقد اتسعت ورحبت قابله ضيق بالبحر وقد احتواه بطن حوت، وهذا الضيق ناجم عن لون غريب من الغضب، غير المبرر، غير المقبول، مما يقدم للجزاء ويكرس له، " نقدر عليه" .

والنص يلح على بيان الضيق المكاني وقد انبهمت معالم الرؤية وعم الظلام، بلفظة "الظلمات".

نادى في الظلمات: " النداء: الصوت مثل الدعاء ..، وقد ناداه أو صاح به .. والنداء، ممدود: الدعاء بأرفع الصوت، وقد ناديته نداء"[٦٩]، وفي المفردات "الدعاء كالنداء إلا أن النداء قد يقال ب يا أو أيا ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر" [٧٠]

وفي النداء ما ليس في الدعاء من رفع الصوت والدعاء قد يكون برفع الصوت أو خفضه، وفي الدعاء معنى الطلب، أما النداء فتنبيه وإيصال أمر ما، وحدث النداء هنا دال على ما بلغه يونس عليه السلام من الضيق، فلم يدع ربه بل ناداه نداء المستغيث المستجير، فهو حدث تابع بل نابع من (نَقْدِرَ عَلَيْهِ).

أما الظلمات فهي "جمع ظلمة، والمراد ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وقيل الظلمات مبالغة في شدة الظلمة ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، يتماهى لفظ الظلمات مع توجيه دلالة النون في مفتتح الآيتين، إذ يستحضر لفظ الظلمات صورة الجنين في بطن أمه وما يثيره المشهد من دلالات الضيق وشدة الضعف والحاجة والعوز، ويرشح هذه الدلالة قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر: ٦]، فاللفظ هنا يفرض واقعا معاينا ويكرس استمرارية التخيل لحالة الضيق التي استهل بها النص.

وهنا يبرز نداء يونس بصيغته ﴿لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وهذا هو الموقع الذي اختص بنص النداء تماشيًا مع ما يفرضه المشهد الأخير من حياة يونس في بطن الحوت، كاشفا عن مدى قدرة الله: كيف ضيق عليه ؟وبماذا فرج ؟. حيث تؤدي الفاء في ﴿فَاسْتَجَبْنَا﴾ دورها في إظهار السرعة، وبيان التعقيب، وهي في التسلسل القصصي علامة الترتب السريع. اسْتَجَبْنَا لَهُ، أي أجبنا نداءه، والسين والتاء للمبالغة في الإجابة أي استجبنا دعوته العرضية بأثر كلامه"[٧١]، فالاستجابة مقصود منها "أوجدنا إجابته إيجاد من كأنه طالب لها بسبب ندائه: هذا بعظمتنا في قدرتنا على الأمور الهائلة"[٧٢].

نجيناه من الغم / ننجي :تكرارية النجاة، يتوجه بها النص إلى دلالة القدرة موافقًا لتلك النجاة الفريدة العجيبة لبشري التقمه حوت، فهي إلحاح نصي على كمال القدرة الربانية مقابل ضعف يونس، وبيان لمدى رحمته به عقب ندائه، "أي مثل ذلك الإنجاء، من غموم يحسب من يقع فيها أن نجاته عسيرة"[٧٣].

وفي نجيناه بتركيبها البنيوي على "فعّل" ما يفيد التكرار والتمهل غالبًا بشرط ألا توجد قرينة تعارض ذلك: نحو (قطّع وكسّر وفتّح وحرّف وسعّر)، ومن مقتضيات التكرار والتمهل في الحدث استغراق

وقت أطول، وأنه يفيد تلبثًا ومكثًا، ف(قطع)يفيد استغراق وقت أطول من(قطع)وفي(علّم)من التلبث وطول الوقت في التعلم ما ليس في(أعلم)، تقول(:أعلمت محمدًا خالدًا مسافراً) وتقول : (علمته الحساب)، ولا تقول(أعلمته الحساب) [٧٤].

فاستخدام النص القرآني هنا لنجينا لمعنى التلبث والتمهل في النجاة، هذا التمهل الذي يحكم قبضة الضيق على يونس عليه السلام، بينما)أنجي(للإسراع في التخليص من الكرب والشدة، حيث يبرز حرف العطف (الواو) المسافة ما بين الاستجابة والنجاة بخلاف ما ورد من نصوص دلت على السرعة والتعقيب من مثل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٧٦].

أما استعمال النص للغم دون ما يقاربه من مواد كالكرب، فلأن الغم ستر الشيء، ومنه الغمام لكونه ساتراً لضوء الشمس، يقال غم وغمة، أي: كرب وكربة"[٧٥] ، والغم: هو شيء يغشى القلب"[٧٦]، ،وهو "ما لا يقدر الإنسان على إزالته كموت المحبوب قلت: ويؤيده قوله تعالى في وصف أهل النار: ﴿كُلامَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، فإنهم لم يكونوا قادرين على إزالة ما بهم من العذاب"[٧٧]، "وقد يوصف الغم بأنه عقدة في القلب"[٧٨].

وأما الغم الذي صاحب يونس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾، فقد قيل فيه إنه يحتمل وجهين: أحدهما من الغم بخطيئته، والثاني: من بطن الحوت: لأن الغم التغطية"[٧٩]، (الغم) مناسب لإثارة دلالات الحزن والخوف من المكروه والضرر، وهو شعور في القلب، ومما يوافق بطن الحوت، وتراكم الظلمات، وانقطاع الحيلة، وانقباض القلب.

الظن وجملته في خطاب نبي الله يوسف عليه السلام

تحكم ثنائية الضد: عليم /متعلم قبضتها على نص سورة يوسف بأسره، وتمتد خيوطها، متوغلة في الحضور عبر مستويات: التكرار، وتوزيع الضمير، والامتداد بفاعليتها عبر سلسلة: الآباء/ الأبناء، تتغذى مفاصل الخطاب بهذه الثنائية مختلطة بأجزائه، فتغدو فاعلة بالقدر الذي ينتخب الألفاظ وينتقيها في السياق، ويحدد الظواهر البنائية فيه انطلاقا من مركزيتها، فهي الثنائية المتسلطة على الخطاب والموجهة له، إذ هي غائرة في أعماقه، مجمعة لخيوطه، بحيث تعد المفتاح الذي ينفتح به النص على جملة ما يحمل من رسائل وما يكتنز من أسرار.

في قصة نبي الله يوسف عليه السلام ورد قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] ، وذلك عقب تأويله لرؤيتيّ صاحبيه في السجن، ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف: ٤١].

أسند بعضهم الضمير في "ظن" إلى الذي قيل له: "إنه يسقي ربه خمرًا، لأنه دخلته أبهة السرور بما بشر به، وصار في رتبة من يؤمل حين ظن وغلب على معتقده أنه ناج"[٨٠]، إلا أن السياق لا يحقق ذلك فهو بعيد " لا التوصية المذكورة بعده [اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ] لا تدور على ظن الناجي، بل على ظن يوسف"[٨١].

فالراجح أن الظان هو يوسف -عليه السلام- وهو ما حدا بالمفسرين إلى حمل الظن على دلالة اليقين استدلالا بقوله تعالى: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، وقيل فيه إنه "دال على وحي"، لكونه نبيًا، قال القرطبي "وإنما يكون ظنًا في حكم الناس، وأما في حق الأنبياء فإن حكمهم حق كيفما وقع"[٨٢].

قراءة سياق قصة يوسف -عليه السلام- تقود إلى استدعاء لفظة "ظن"، بما يعني ترجيحًا لأحد طرفين على الآخر، وقد رجح يوسف -عليه السلام- نجاة الساقي، ترجيحًا أكده الماضي (ظن) لدلالة الثبوت والتحقق، و(أن)، واستخدام اسم الفاعل (ناج) عدولا عن المضارع (ينجو) مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة.

وإنما استخدم الظن مراعاة لمقام ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، فقد آل السياق إلى استخدام مادة الظن عبر تواتر للثنائية الضدية: عليم/متعلم، والتي أفرزها سياقي السباق واللحاق باطراد عقب مستويات رؤى يوسف -عليه السلام- وحين الوحي إليه في الجب، وقد ترقى في مضمار النظم القصصي من مقام الرائي إلى مقام مؤول الروئ، ومن مقام الرؤيا إلى مقام تحققها، دون أن ينقطع هذا الخيط المتصل بينه وبين معلمه، وفق اعتبار: الأعلى/الأدنى.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤]

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ [يوسف: ٦]

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٥]

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٢١]

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ [يوسف: ٣٦-٣٧]

﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ [يوسف: ٣٧]

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف : ١٠٠]

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١]

عبر هذا الامتداد لتلك الثنائية: عليم/ متعلم، ومن خلال تلك الآية التي أقفلت المبنى الحكائي لقصة يوسف، يتحدد موقع يوسف -عليه السلام- مقرًا بضآلة ما لديه من علم التأويل ﴿مِنْ تَأْوِيلِ الأحاديثِ﴾ "أي بعض تعبير الرؤيا"[٨٣]، وأنه مما علمه ربه (عَلَّمْتَنِي).

يتماهى هذا كله مع انتشار اسم الله (العليم) وامتداد تكراره في مساحة النص، وصفًا لله مرددًا سبع مرات، فهو وحده "العالم بما كان وما يكون قبل كونه، ولا يزال كذلك، كما لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، المحيط علمه بجميع الأشياء: ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها على أتم الإمكان"[٨٤]، إذ صيغة المبالغة (عَلِيمُ) تفيد ثبوت الصفة ورسوخها، فلا تستعمل إلا عن قصد تأكيد الفعل"[٨٥]،فهي لصيغة تدل على الطبائع، إذ هي منقول عن الصفة المشبهة، فعليم يدل على أنه لكثرة علمه وتجرده فيه أصبح طبيعة ثابتة، وسجية ملازمة.

في نص سورة يوسف تتشكل " مجموعة من الثنائيات المتشابكة والمتقابلة، تنعكس على شبكة العلاقات فتحيلها إلى مجموعة من الثنائيات الخالصة "[٨٦]، إذ الكلمة ليس لها معنى بذاتها " بل معناها يكمن في وجود ضدها "[٨٧]، حيث الضد مقارنة ومفارقة بين طرفين، وربط وتفاعل بينهما، لأن كلا الطرفين في المفارقة يلقي بظلاله على الآخر، فيظهر ملامحه ويزيده جلاء.

النص يعيد صياغة ثنائية: عليم / متعلم بصورة تفضي إلى استلهام النتيجة ذاتها، تحقيقا لما ينشده الخطاب من تحديد للمواقع، على الوجه التالي:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وعلما﴾ [يوسف: ٢٢]

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦]

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]

﴿إِناهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]

فمقابل تكرارية العلم والحكمة الربانية، تنفرد آية واحدة ببيان ما أوتي يوسف من حكمة وعلم، والآية ذاتها تحتوي على ما يفضي إلى إعادة الثنائية الضدية: آتينا (نحن) /الهاء (هو)، الفاعل (المانح)/

المفعول (الممنوح) ، ثم لتنظر إلى تكرارية سبق الحكمة بالعلم وصفا لله جل وعلا (العليم الحكيم) وتأخر العلم على الحكم حين اختص الأمر بيوسف عليه السلام (الحكم والعلم)، وإلى ما لدى يوسف من علم غير كامل واتصافه جلا وعلا بتمام العلم وكماله باختصاصه بالإحاطة بظواهر الأمور وبواطنها، حيث تقتضي صيغة المبالغة (عليم) المبالغة في الوصف بالعلم .

ومن ثم يغدو التكرار عنصرا فاعلا بما يوفره من التوكيد والإلحاح على تحديد المواقع، والمبالغة في إظهار كمالات الخالق في مقابل ضآلة المخلوق، فهو وليد ضرورة مدلولية، إذ تمثل الألفاظ المكررة جوهر المعنى.

يلح النص على الثنائية ذاتها عبر الضمير وتوزعه مع كلمة (علم) ما بين صيغ الخطاب والغيبة والتكلم: يعلمك/ هو أنت، لنعلمه/ نحن أنت، آتيناه حكمًا وعلمًا/ نحن هو، مما علمني ربي/ هو أنا، لما علمناه/ نحن هو، علمتني / أنت أنا، حيث تعد الضمائر بنى شكلية تمثل محور الجهة التي يصدر عنها النص، إذ تتراكم الصيغ في النص مع مادة (علم) لتسهم في تكوين البنية الدلالية وتبرز خيوط العلاقة بين الطرفين: العليم/ المتعلم، فهذه الثنائيات الضميرية التي ألحقت بمادة (علم) فاعلة مولدة للدلالة بقدر إبرازها للتناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض في الأداء والوظيفة .

يمتد تفعيل هذه الثنائية بما صدر عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٧-٦٨].

والنص يحقق ثنائية عليم / متعلم بدرجة قصوى من الانسجام بين قطبي العلاقة، وهذا الانسجام ينتجه انصياع الأدنى المتعلم، وانقياده للأعلى العليم، حيث تتدفق حركية السياق من دينامية الفعل (التعليم) / رد الفعل (التعلم)، وعبر ما تولده تلك الحركة من أحداث غريبة، وما تخلقه من تطورات مثيرة للدهشة.

إذن ف ﴿فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يشير بها النص إلى أن ما بلغه يوسف من علم علمه الله إياه، ليس هو نهاية العلم، بل هناك علم لا حدود له، ولا نهاية لمداه، وهو علم الله تعالى"[٨٨]، يقول البقاعي :"ولما كان كل علم بالنسبة إلى علم الله عدمًا عبر عن علمها بالظن"[٨٩]

بهذه الكيفية يمكننا اعتماد مادة (علم) من الكلمات المفاتيح التي ترتبط ارتباطا وثيقا بورود مادة (الظن) في السياق، بما لها من ثقل تكراري وتوزيعي في النص بدرجة تفتح مغاليقه وتبدد جانبا من جوانب غموضه.

فهو وحده المستأثر بالعلم، وهو سبحانه عالم الغيب: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف :١٥]، ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ [يوسف: ٨١]،﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [يوسف: ١٠٢]، وهو وحده يحكم ولا معقب لحكمه ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٤٠]،﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٦٧]،﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [يوسف: ٧٦]،﴿ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يوسف: ٨٠]،﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]،﴿ فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ﴾ [يوسف: ١١٠].

يتماهى مع كمال علمه وحكمته وحاكميته أنه سبحانه مظهر طلاقة القدرة وتمام الهيمنة والإحكام ف" ﴿ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أمره﴾ [يوسف: ٢١]، تماشيًا مع المقصد العام لسورة يوسف إذ "مقصودها وصف الكتاب بالإبانة لكل ما يوجب الهدى [لما ثبت فيما مضى (من السور)] ويأتي في هذه السورة من تمام علم منزله غيبًا وشهادة، وشمول قدرته قولا وفعلاً"[٩٠].

وهو ما حمل بعض مفسري قوله: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْ تَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] على أنه ما عنى أن الذي ذكره واقع لا محالة بل عنى به أنه حكمه في تعبيره ما سألاه عنه ذلك الذي ذكره"[٩١]، روى الطبري عن (قتادة) - ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢]- قال: "وإنما عبارة الرؤيا بالظن، فيحق الله ما يشاء"[٩٢] ، ففسر بالظن دون اليقين، قال: "إنما ظن يوسف نجاته، لأن العابر يظن ظناً، وربك يخلق ما يشاء"[٩٣]، وفي المحرر ﴿قُضِيَ الامر﴾ دال على وحي، ولا يترتب قول (قتادة) إلا بأن يكون معنى قوله ﴿قُضِيَ الأمر﴾ أي قُضي كلامي وقلت ما عندي وتم، والله أعلم بما يكون بعد"[٩٤]، إذ القضاء "فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا"[٩٥].

ومن ثم تؤشر مادة (الظن) إلى كمال التأدب، مع من حفظ يوسف عليه السلام وآواه ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [يوسف: ٢١]، ،﴿لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ [يوسف: ٢٤]، ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣٤]، ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ [يوسف: ٣٨]، ﴿ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١].

ف "لعل التعبير به [الظن] من باب إرخاء العنان والتأدب مع الله تعالى فالتعبير على هذا بالوحي كما ينبئ عنه قوله: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ﴾، وهذا مما يعني أن يوسف عليه السلام وإن كان يتكلم بمقتضى الوحي واليقين، إلا أنه يجعل علمه (ظنًا) "كأنه يقول: ذلك مقتضى علمي، وما عندي خلافه، والعلم عند الله"[٩٦].

وفق ما مضى، فجملة دلالات تكتنزها لفظة "ظن" في سياقها، والتي كانت لتغيب بإحلال "أيقن" محلها وهي:

١. أن فوق كل ذي علم عليم، وهو وحده سبحانه وتعالى من له كمال العلم ودوامه وله الحكمة في تصريف ملكه، جعل حكمته وعلمه ليوسف، عليه السلام، هبة جزء من كل.
٢. أن الله يستأثر بعلم الغيب، ويحيط به وهو وحده يحكم ولا معقب لحكمه.
٣. طلاقة القدرة الربانية، والهيمنة الإلهية، فهو سبحانه مظهر القدرة وتمام الإحكام.
٤. كمال تأدب النبي يوسف - عليه السلام- مع ربه.
٥. أن علم تأويل الرؤى في مطلقه علم ظني قائم على الاجتهاد فهو لون تنبؤ واستشراف خاضع لعلم علام الغيب، قال الألوسي: "واستدل به من قال: إن تعبير الرؤى ظني لا قطعي"[٩٧].

خاتمة:

بعد هذه القراءة في الدلالات السياقيّة لجملة الظن في النّص القرآني الكريم يمكن أن نخلص إلى أنّ السياق الخطابي في النّص القرآني هو ما كان متحكماً بدلالات جملة الظن، فقد خرجت في أكثر آيات الذّكر الحكيم إلى غير معناها الأساسي القائم على عدم التيقن ونستطيع أن نخلص من خلال تتبع السياقات التي جاءت فيها جملة الظن إلى أنّ:

١. وردت مادة (الظَّنِّ) في الخطاب القرآني تسعا وستين مرة على صور متعددة فوردت بصيغ: المصدر، وفعلي الماضي والمضارع، واسم الفاعل، واستأثر الخطاب المكي بالقسط الأوفر منها، إذ وردت في ثمان وأربعين سورة مكية وإحدى وعشرين سورة مدنية.
٢. جاء الظن وجملته إما حكاية عن الأنبياء، أو بيانًا لأحوال الكافرين، أو كشفًا عن بعض أحوال المؤمنين، ما يمكن استجلاء جملة دلالاته عبر السياق الأسلوبي.
٣. قراءة سياق قصة يوسف -عليه السلام- تقود إلى استدعاء لفظة "ظن"، بما يعني ترجيحًا لأحد طرفين على الآخر، وقد رجح يوسف -عليه السلام- نجاة الساقي، ترجيحًا أكده الماضي (ظن) لدلالة الثبوت والتحقق.
٤. تؤشر مادة (الظن) إلى كمال التأدب، مع من حفظ يوسف عليه السلام وآواه.
٥. لقد أثر الخطاب السياقي في دلالة الكلمة من خلال تبدل النّسق وتغيّره فجاءت ظن في أغلب الأحيان في غير معناها لتعبر عن اليقين في أغلب المواقف وتخرج إلى أنماط أخرى.

التوصيات:

يوصي البحث بمجموعة من النقاط أهمها:

١. الاهتمام بالقراءة السياقيّة لنص القرآن الكريم لأنّه نص غني بالدلالات.
٢. إنّ المعاني المستفادة من كلمة ظنّ في السياق الخطابي تبيّن أهميّة قراءة ما وراء الكلمات وبالتالي وجوب الاهتمام بالنظريات الدلالية في قراءة النّصوص.
٣. إثراء المكتبة الإسلاميّة بكثير من الدراسات الّتي تتناول بنية النّص القرآني والخطاب فيه.

الهوامش:

[١](فاعلية السياق وحيز المعنى عند ستيفن أولمان)، كمال علوش، مجلة جامعة الجزائر العدد: ١ السنة: ١١ يوليو: ٢٠١٩م، ص: ٦٥.

[٢] (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، الرماني – الخطابي – الجرجاني تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط ٣ دار المعارف بمصر ١٩٧٦م.

[٣] لسان العرب لابن منظور مادة سوق طبعة دار المعارف.

[٤] أساس البلاغة للزمخشري ت محمد باسل عيون السود ج ١ ص ٤٨٤ . دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١، سنة ١٩٩٨م.

[٥] المصدر السابق ج ١ ص ٤٤٩

[٦] المعجم الوسيط مادة سوق ص ٤٦

[٧] حاشية العطار علي جمع الجوامع للعلامة الشيخ حسن العطار علي شرح الجلال المحلي علي جمع الجوامع للإمام ابن السبكي ج ١ ص ٣٢٠ دار الكتب العلمية بيروت (بدون)

[٨] المصدر السابق ج ١ ص ٣٠

[٩] ينظر المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع للسلجماسى تحقيق الغازي ص ١٨٨ مكتبة دار المعارف الرباط ط١ سنة ١٩٨٠م.

[١٠] الاكتفاء هو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه ينظر العمدة في محاسن الشعر و آدابه ابن رشيق القيروانى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج ١ ص ١٥١ طبعة دار الجيل ط ٥سنة ١٩٨١ م

[١١] ينظر معانى الأثار لابي جعفر الطحاوي ج ١ ص ٤٩ دار الكتب العلمية بيروت .

[١٢] ينظر :علم الدلالة النظرية والتطبيق فوزى عيسى ،ورنيا فوزى عيسى ،ص ١١١ دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ط ١ سنة ٢٠٠٨ م .

[١٣] ينظر الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون ج ١ ص ٢٥ مكتبة الخانجي بالقاهرة ط، سنة ١٩٨٨م٣

[١٤] ينظر الكتاب ج ١ ص ٣٤

[١٥] ينظر الأضداد ابو بكر الأنباري تحقيق امحمد أبو الفضل إبراهيم

[١٦] الرسالة للإمام الشافعي تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٣٨ م، ص ٥٢.

[١٧] المصدر السابق ص ٦٢

[١٨] ينظر المستصفى في علم الأصول، للإمام الغزالي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٢م. ج ١ ص ٥

[١٩] ينظر بدائع الفوائد ابن القيم الجوزيه تحقيق على بن محمد العمران ج ٤ ص ١٣١٤ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع (بدون)

[٢٠] البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي تحقيق د عبد الستار أبو غدة والشيخ عبد القادر عبدالله العاني ج ٦ ص ٥٢ .دار الصفة للطباعة والنشر والتوزيع (بدون)

[٢١] ينظر البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٢

[٢٢] تفسير القرآن الحكيم الش هير باسم تفسير المنار للإمام الشيخ محمد عبده تحقيق السيد محمد رشيد رضا ج١ ص٢٢ طبعة دار المنار بالقاهرة ط ٢ ١٩٤٧م.

[٢٣] ينظر البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ج ١ ص ١٣٨، ١٣٩

[٢٤] ينظر اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين د/ نادية رمضان النجار ص ٢٠٥

[٢٥] الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري تحقيق محمد إبراهيم سليم ص ٢٥ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع (بدون)

[٢٦] المصدر السابق ص ٢٢

[٢٧] ينظر دلائل الإعجاز الإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر ص ٣٦٤ مطبعة مدني بالقاهرة ط ٣ سنة ١٩٩٢ م.

[٢٨] المصدر السابق ص ٩٢

[٢٩] ينظر الإيضاح للقزويني تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ج ١ ص ٥٢ دار الجيل بيروت ط ٣ (بدون)

[٣٠] المصدر السابق ج ١ ص٤١

[٣١] دلالات التراكيب دراسة بلاغية اد محمد محمد أبو موسى ص ٢٣٨ مكتبة وهبة الطبعة ٢ سنة ١٩٨٧ م عالم الكتب ، القاهرة ، ط٣، ٢٠٠٤م

[٣٢] ينظر علم الدلالة مختار د. أحمد مختار عمر ص ١٩

[٣٣] ينظر: ، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية – تأصيلية – نقدية ، فايز الداية ٣٢ دمشق دار الفكر المعاصر ط٢، ١٩٩٦ م

[٣٤] دروس فى الألسينية العامة ل فردينا ن دى سوسير تعريب محمد الشاوش –و محمد عجينة ص ٣٧ الدار العربية للكتاب ١٩٨٥ م

[٣٥] المصدر السابق ص ١٨٦

[٣٦]ينظر المصدر السابق ص ١٨٦

[٣٧] اللغة ل جوزيف فندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلى محمد القصاص تقديم فاطمة خليل ص ٢٢٢ الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق ٢٠١٤

[٣٨] المصدر نفسه ص ٢٥٤

[٣٩] المصدر نفسه ص ٢٣١

(٤٠) نقلاً عن : التماسك النصي دراسة تأصيليّة/مثنى فاضل ديب/ أحمد أسامة علاء الدين /ص١٣٣.

(٤١) دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني/ صـ ٨١.

(٤٢) دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجاني/ صـ٨١.

(٤٣) البيان والتبين / الجاحظ/ صـ ٨٨.

(٤٤) لسانيات النّص/ محمد خطابي/ صـ ١٤٣.

(٤٥) البيان والتبيين/ الجاحظ/ صـ ٨٩.

(٤٦) الخصائص/ ابن جني/ صـ١٣٩ .

(٤٧) الانسجام في القرآن الكريم سورة النبأ نموذجاً/ نوال الخلف/ صـ١٢٨.

(٤٨) منهاج البلغاء وسراج الأدباء/ حازم القرطاجني/ صـ ٢٦٨.

[٤٩] الحجاج في القرآن، عبد الله صولة : ١٧٠

[٥٠] الأسلوبية وطرق قراءة النص الأدبي، عمر عبد الله العنبر، ومحمد حسن عواد : ٤٤١ ، بحث منشور في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، مجلد : ٤١ ، عدد ٢ ، ٢٠١٤

[٥١] التحرير والتنوير: ١٧ / ١٣٣

[٥٢] مبادئ اللغة، الخطيب الإسكافي: ١٥٣ ، مطبعة السعادة، مصر، ط ١ ، ١٣٢٥

[٥٣] دقائق الفروق اللغوية : ١١١

[٥٤] البرهان في علوم القرآن، الزركشي : ١ / ١٦٠ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١

[٥٥] في معجم المقاييس: (حوت) " الحاء والواو والتاء أصل صحيح منقاس، وهو من الاضطراب والروغان، فالحوت العظيم من السمك، وهو مضطرب أبدا غير مستقر.

[٥٦] المقاييس: نون.

[٥٧] خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس: ١٦٠ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨

[٥٨] السابق: ١٦١

[٥٩] أفعال الحركة الانتقالية الكلية للإنسان في القرآن الكريم، عماد عبدالرحمن خليل شلبي: ٤٣ ، رسالة ماجستير/ جامعة النجاح الوطنية/نابلس/فلسطين، ٢٠١٠

[٦٠] نفس المرجع السابق : ٤٣

[٦١] السابق : ٤٣

[٦٢] روح المعاني: المجلد السادس ١١ / ٧٩

[٦٣] المقاييس: جذر، غ ض ب.

[٦٤] التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٧ / ٢٨٢

[٦٥] السابق : ٧ / ٢٨٢

[٦٦] لسان العرب: غ ض ب.

[٦٧] تفسير أبي السعود ٨ / ٨٢

[٦٨] التحرير والتنوير : ١٧ / ١٣١ ، وفي الكشاف: " ظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا له وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله " : ٣ / ١٠٤ ، وبهذا يكون)ظن(مما يفسر سبب خروجه ويسوغه.

[٦٩] لسان العرب: ن د ا .

[٧٠] مفردات ألفاظ القرآن: ن د ا.

[٧١] التحرير والتنوير: ١٧ / ١٢٧

[٧٢] نظم الدرر ١٢ / ٤٦

[٧٣] التحرير والتنوير : ١٧ / ١٢٧

[٧٤] بلاغة الكلمة، فاضل السامرائي : ٦٢ ، دار عمار، عمان، ط ٤ ، ١٤٢٨ / ٢٠٠٧

[٧٥] المفردات: غ م.

[٧٦] مقاييس اللغة غ م.

[٧٧] الفروق في اللغة: ٥٦٠

[٧٨] المفردات: غ م.

[٧٩] النكت والعيون، أبو الحسين علي بن محمد الماوردي: ٣ / ٤٦٧ ، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٨٠] تفسير أبي السعود، (ارشاد العقل السليم): ٤ / ٢٨٠

[٨١] المحرر الوجيز: ٩٩٦

[٨٢] تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): ٩ / ١٩٤

[٨٣] روح المعاني: المجلد السادس ١٢ / ٣٩٨

[٨٤] النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير: ٣٤ / ٢٩٢ ، نشر دار الباز، مكة المكرمة.

[٨٥] أسماء الله الحسنى، دراسة في البنية والدلالة، أحمد مختار عمر : ٣٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ ، وقد لوحظ أن لفظة عليم في الاستخدام القرآني تميزت عن عالم وعلام بأن الصفتين عالم وعلام جاءا مقيدين دائمًا بعلم الغيب (وقد تضاف إليه الشهادة)، أما "عليم" فحين قيدت تنوع متعلقها، وفي سورة البقرة "بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [أية ٢٩]

[٨٦] بناء الأسلوب في شعر الحداثة، محمد عبد المطلب : ١٤٩ ، منشورات عالم الكتب، إربد، الأردن، ٢٠٢٠

[٨٧] الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر)، عبد الله محمد الغذامي : ٣٠، منشورات النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ١٩٨٥.

[٨٨] القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب: ٤٧٠ ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢ ، ١٣٩٥/١٩٧٥.

[٨٩] نظم الدرر: ١٠ / ٩٢

[٩٠] السابق: ١/١٠

[٩١] التفسير الكبير: ١٤٦/١٨

[٩٢] تفسير الطبري (جامع البيان)، محمد بن جرير الطبري : ١٢ / ٢٢٢ ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ / ١٩٨٨

[٩٣] تفسير القرطبي: ٩ / ١٩٤

[٩٤] المحرر الوجيز : ٩٩٦ .

[٩٥] لسان العرب: مادة ق ض ى.

[٩٦] الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف عليه السلام، عمر محمد عمر باحاذق: ١٠٧ ، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٤١٧ / ١٩٩٧

[٩٧] روح المعاني: المجلد السادس ١٢ / ٤٣٧

المصادر والمراجع:

١. أساس البلاغة للزمخشري ت محمد باسل عيون السود ج ١. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١، سنة ١٩٩٨م.

٢. الأسلوبية وطرق قراءة النص الأدبي، عمر عبد الله العنبر، ومحمد حسن عواد ، بحث منشور في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، مجلد : ٤١ ، عدد ٢ ، ٢٠١٤

٣. أسماء الله الحسنى، دراسة في البنية والدلالة، أحمد مختار عمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.

٤. أفعال الحركة الانتقالية الكلية للإنسان في القرآن الكريم، عماد عبدالرحمن خليل شلبي ، رسالة ماجستير/ جامعة النجاح الوطنية/نابلس/فلسطين، ٢٠١٠

٥. الاكتفاء هو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه ينظر العمدة في محاسن الشعر و آدابه ابن رشيق القيروانى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج ١ طبعة دار الجيل ط ٥سنة ١٩٨١ م

٦. بارت، رولان الكتابة في درجة الصفر ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإيماء الحضاري الثقافي، ١٩٩٤م.

٧. البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي تحقيق د عبد الستار أبو غدة والشيخ عبد القادر عبدالله العاني ج ٦ .دار الصفة للطباعة والنشر والتوزيع بدون

٨. البرهان في علوم القرآن، الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١

٩. بلاغة الكلمة، فاضل السامرائي ، دار عمار، عمان، ط ٤ ، ١٤٢٨ / ٢٠٠٧

١٠. بناء الأسلوب في شعر الحداثة، محمد عبد المطلب ، منشورات عالم الكتب، إربد، الأردن، ٢٠٢٠

١١. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن حجر الجاحظ، تح: عبد السلالم هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨.

١٢. تفسير الطبري جامع البيان، محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ / ١٩٨٨

١٣. تفسير القرآن الحكيم الش هير باسم تفسير المنار للإمام الشيخ محمد عبده تحقيق السيد محمد رشيد رضا ج١ ص٢٢ طبعة دار المنار بالقاهرة ط ٢ ١٩٤٧م.

١٤. تقنيات السرد الروائي في المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠.

١٥. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني – الخطابي – الجرجاني تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط ٣ دار المعارف بمصر ١٩٧٦م.

١٦. حاشية العطار علي جمع الجوامع للعلامة الشيخ حسن العطار علي شرح الجلال المحلي علي جمع الجوامع للإمام ابن السبكي ج ١ ،دار الكتب العلمية بيروت بدون

١٧. الحجاج في القرآن، عبد الله صولة ،

١٨. خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس: ١٦٠ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨

١٩. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، عبد الله محمد الغذامي : ٣٠، منشورات النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ١٩٨٥.

٢٠. دروس فى الألسينية العامة ل فردينا ن دى سوسير تعريب محمد الشاوش –و محمد عجينة الدار العربية للكتاب ١٩٨٥ م

٢١. دلالات التراكيب دراسة بلاغية اد محمد محمد أبو موسى ص ٢٣٨ مكتبة وهبة الطبعة ٢ سنة ١٩٨٧ م عالم الكتب ، القاهرة ، ط٣، ٢٠٠٤م

٢٢. الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف عليه السلام، عمر محمد عمر باحاذق: ١٠٧ ، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٤١٧ / ١٩٩٧

٢٣. الرسالة للإمام الشافعي تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٣٨ م، ص ٥٢.

٢٤. عصر البنيويّة، ايديث كريزويل، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط١، ١٩٩٣.

٢٥.فاعلية السياق وحيز المعنى عند ستيفن أولمان، كمال علوش، مجلة جامعة الجزائر العدد: ١ السنة: ١١ يوليو: ٢٠١٩م.

٢٦.الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري تحقيق محمد إبراهيم سليم ص ٢٥ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع بدون

٢٧.القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب: ٤٧٠ ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢ ، ١٣٩٥/١٩٧٥.

٢٨.لسان العرب لابن منظور مادة سوق طبعة دار المعارف.

٢٩.اللغة ل جوزيف فندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلى محمد القصاص تقديم فاطمة خليل ص ٢٢٢ الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق ٢٠١٤

٣٠.مبادئ اللغة، الخطيب الإسكافي: ١٥٣ ، مطبعة السعادة، مصر، ط ١ ، ١٣٢٥

٣١.التماسك النصي دراسة تأصيليّة/مثنى فاضل ديب/ أحمد أسامة علاء الدين /ص١٣٣.

٣٢.النكت والعيون، أبو الحسين علي بن محمد الماوردي: ٣ / ٤٦٧ ، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣.النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير: ٣٤ / ٢٩٢ ، نشر دار الباز، مكة المكرمة.

٣٤.علم الدلالة النظرية والتطبيق فوزى عيسى ،ورنيا فوزى عيسى ،ص ١١١ دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ط ١ سنة ٢٠٠٨ م .

٣٥.الإيضاح للقزويني تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ج ١ ص ٥٢ دار الجيل بيروت ط ٣ بدون

٣٦.البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ج ١ ص ١٣٨، ١٣٩

٣٧. الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون ج ١ ص ٢٥ مكتبة الخانجي بالقاهرة ط، سنة ١٩٨٨م٣

٣٨. اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين د/ نادية رمضان النجار ص ٢٠٥

٣٩. المستصفى في علم الأصول، للإمام الغزالي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٢م. ج ١ ص ٥

٤٠. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع للسلجماسى تحقيق الغازي ص ١٨٨ مكتبة دار المعارف الرباط ط١ سنة ١٩٨٠م.

٤١. بدائع الفوائد ابن القيم الجوزيه تحقيق على بن محمد العمران ج ٤ ص ١٣١٤ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع بدون

٤٢. دلائل الإعجاز الإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر ص ٣٦٤ مطبعة مدني بالقاهرة ط ٣ سنة ١٩٩٢ م.

٤٣. معانى الأثار لابي جعفر الطحاوي ج ١ ص ٤٩ دار الكتب العلمية بيروت .

علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية – تأصيلية – نقدية ، فايز الداية ٣٢ دمشق دار الفكر المعاصر ط٢، ١٩٩٦ م